

المعلم الأول وما ينبغي له

بسم الأستاذ الدكتور محمد حسين

لقد سألني حاجة إلى أن أذكر رجال التعليم الأول بما يجب عليهم لأنفسهم ولغيرهم وللأمم بأكملها وأمتهم . فوم يذكرون ذلك فيما اعتقد على أحسن وجه، ويبدلون في تأدية هذه الواجبات أقصى ما يستطيعون من جهد . ثم إن غيرة من الناس يذكرونهم بهذه الواجبات في كل يوم، ويلج عليهم فيها إلحاحا تقبلا بملا بوشك أن يتلا صدورهم حربا وتوسمهم ضيقا، فالإحاح في نفسه ثقيل، وإذا كان إلحاحا في التذكير بالواجبات كان أثقل على النفس، وأبغض إلى القلب، وأدعى إلى التفور وغير أداءه الواجب ما صدر عن حب ورضى، لا عن تذكير وإلحاح، وهذه وزارة المعارف كهيئة والحدثة بتذكير المعلمين وإن لم ينسوا، وبخبرهم وإن لم يقصروا، وهذه الصحف ما تنفك تنوم المعلمين وتسرف عليهم في القوم تجور أحيانا، وتعدل حينئذ . فلندع المعلمين إذن وواجباتهم ولننعمهم من الإلحاح عليهم فيها، ولنحدث إليهم فيما يجب لهم مادام غيرنا يتحدث إليهم فيما يطلب منهم

والذي يجب للمعلمين الأولين كثير أكثر جدا مما يطلب الناس، وأكثر جدا مما يطلبونهم . فعمل المعلم الأول في مصر غير مفهوم ولا مقدور على وجهه ؛ وأكثر الناس يرى في كلمة الأولى هذه شيئا من نزول الدرجة، وتأخر المرتبة إذا ذكر المعلم الثانوي أو المعلم العالي، ومصدر ذلك في أكبر اللحن أن الديمقراطية لم تستقر في قلوبنا بعد، كما ينبغي وإننا ما زلنا نحفظ بنى ومن نظام الطبقات، وننسى أن الحياة الجديدة لا تقوم على هذا النظام وإنما تقوم على توزيع الأعمال، فهمة المعلم الأولى ليست بحال من الأحوال أهون شأنًا ولا أقل خطرا من مهنة أستاذ الجامعة، ذلك أن أستاذ الجامعة لا يمكن أن يوجد في نفسه إلا إذا كوته يد المعلم الأول، فهو قد مر بالمدرسة الأولية طفلا، ثم هو لا يستطيع أن يجد طلابه الجامعيين إلا إذا كونهم له المعلم الأول، لأنهم يمرون بالمدرسة الأولية أطفالا، والمعلم الأول نفسه لا يمكن أن يوجد ولا أن يؤدي عمله على وجهه بتدريس الأستاذ الجامعي، لأن المعلم الأول يتعلم في الجامعة أو يخرج منها، بل لأن رجال التعليم العالي هم الذين يشرفون أو ينبغي أن يشرفوا على حياة التعليم كله مهما تختلف فروعه، وهم الذين يسمعون أو ينبغي أن يسمعون ما يحتاج إليه التعليم من برنامج أو نظام .

فالتيامن إذن هو أساس الحياة بين رجال التعليم على اختلافهم، كما أنه أساس الحياة للأمم كلها . على اختلاف ما تنسجه إليه من فروع النشاط . وإذن فليست الأمة أشد حاجة إلى

هؤلاء المعلمين منها إلى أولئك ، وإنما هي محتاجة إليهم جميعاً بمقدار واحد ، وعلى قياس واحد محتاج هؤلاء في طور من أطوارها ، وتحتاج لأولئك في طور آخر من هذه الأطوار . وإذن فنسوه الفهم وقصر النظر إلى خفائش الأشياء ، أن يحسب حساب لما بين المعلمين من تفاوت الدرجة ، واختلاف المرتبة ، ولا بد من أن تنظر الدولة إليهم جميعاً نظرة واحدة ، تقوم على المساواة ، والعدل والإنصاف .

وعلى هذا فأول ما يجب للمعلم الأولي على الدولة والأمة معاً أن يستمتع بحقه من الانصاف فلا تنظر إليه على أنه ناقلة أو على أنه شيء يمكن الاستغناء عنه ، أو على أنه مؤثر من المؤثرات الإنسانية في حياة الشعب ، وإذا نظر المعلم الأولي بهذا الحق فاستمتع بالانصاف الكامل ولم يتعرض لجور ولا حيف ، فقد يكون من حق الدولة عليه أن تنتظر منه أداء واجباته على أكمل وجه .

فأما قبل ذلك فقد يكون من حق الدولة أن تخافه ، وأن تشفق منه لأنه سيتعرض للضغط والخرج ، ولست أعرف شيئاً شراً على حياة الأمم والأفراد من ضغط المعلمين ، والمعلمين الأوليين بنوع خاص . ذلك أنا نسكى إليهم أبناءنا وبناتنا وهم أطفال يتأثرون أشد التأثير بما يرون من الصور ، وما يلقى في نفوسهم من الطواطر والمعانى . فإذا ضغط المعلم وحزن ، واضطرب وضاعت حاله ، لم يظهر هؤلاء الأطفال إلا صوراً كاسفة شاحبة مظلمة ، ولم يلقى في نفوسهم إلا خواطر حزينة أثيمة ، مرة ، ولم ينشئ لنا منهم إلا أطفالاً محزونين معرضين لأقبح ألوان الضعف والفتور ، واليأس والحدود .

ذلك إلى أن المعلم الأول هو أشد الناس اتصالاً بالجمهور ولا سيما في قرى الريف ومدن الأقاليم ، وكلمته في هذه الجماهير مسموعة ، ورأيه فيها مطلق ، وهو من أقوى أدوات الدعاية وأشدّها خطراً ، فإذا ضغط على نظام الحساسة الاجتماعية استطاع أن يبتلع الناس فيه ، ويصرفهم عنه ، ويؤثر عليهم عليه . وحسبك بهذا شراً في بلد يريد أن يتجنب اشتراك النظم الاجتماعية . والذين يدرسون حياة الأمم الغربية يلاحظون أن هذه الأمم تسمى بالمعلمين الأولين عناية لاجد لها ، لأنها تقدر عملهم وقوتهم ، وتحسب لتأثيرهم في الجيل الحاضر وفي الأجيال المقبلة كل حساب . ولست أدري هل يعلم الناس في مصر أن المعلمين الأولين يتحكمون في مصير كثير من النواب في فرنسا ويمثلون على الدولة شروطهم في كثير من الأحيان ، لأن تأثيرهم في الجماهير شديد ، ولأن أمور الانتخاب تكاد توكل إليهم في بلاد الريف ، وفي المدن التي لا تكثر فيها الصناعات ١٢ .

وهل يعلم الناس في مصر أن أمور القرى في فرنسا وأمر المدن أيضاً إنما هي إلى المعلمين الأولين لأنهم يعملون دائماً مع العدد وإليهم سكرتيرة المجالس القروية . وأن هذا كله يفرض

على الدولة وعلى البلديات ومجالس الأقاليم أن تمنحهم أو فرحظ من العناية وأعظم تعيب من الراحة ولين العيش ومع ذلك فهم غير راضين . والمؤتمر الذي يعقدونه في الصيف من كل عام حدث من الأحداث السنوية الكبرى في فرنسا تهتم له الحكومة وتعنى به الصحف وكثيرا ما يرأسه عظماء فرنسا، وقد شهدت مرة برأسه رئيس مجلس النواب ؟ .
ما أجدر المصريين أن يفكروا في هذا كله ، وما أجدر المعلمين أنفسهم أن يفكروا في هذا كله أيضا ، فإن هذا التفكير قد بعفينا من مشكلات جسام لأزهارها اليوم ، ولكنها ستعرض لنا غدا أو بعد غد إذا لم نأخذ بالجدية والحذر ولم نعرف رجال التعليم الأولي ما يجب لهم من العدل والأصاف .

طه حسين

الشدائد؟

الشدائد مقياس لبي الإنسان ومحك للخليقة البشرية على اختلافها وتباينها . هي معنى سام ، تزكي العقل وتربي الروح . تهذب النفس وتمحس الرأي . إذا حلت بضعف العقيدة امتعض امتعاضا وزفر زفرة تكاد تمزق حجاب قلبه !! فيصفر وجهه !! ويحزن وجدانه !! وتنبج أعصابه !! فيزجر ويصخب !! وينهرم ويسأم !! ويستغيث ويستنجد !! عليه يحمد فرجة أو ينفس عنه ، يفكر في مخرج من هذه القوة والاتقاء عن هذا الشبح الخفيف ، فيرجع تفكيره خائبا وهو حسير !!

ولكنه لو درى أن الشدائد مر عظيم . . . ولطف خفي . . . ومكرمة طيبة . . . بها يعرف جده من هزله . . . وحقيقته من خياله . . . لما ضاق منها ذروعا . . . ولا استعذب مرارة كأسها . . . وأخذ ليعمل عمله ليعمل شيئا حسنا . فيقدر الشدائد تكون العزائم إن الشدائد مدرسة لتعليم المرء الحياة الصحيحة . بل هي الطبيب الماهر الذي يعرف الداء فيجس الدواء . مرشد ناصح . ومرب أمين ، تقوى اليقين . . . وتولد العقيدة ، تهدي إلى الصبر . . . وتقود إل كل بر . فهي أ كبر الأمانى . . . وميزان لنجاح الأعمال ؟

محمد حسن خليفة

نائب أسوان ورئيس مدرسة أدباء مركز الدر